

الفصل الثامن

الهارب

دخل «سعيد الميداني» على مدير دار الكتب — حين أذن له — وهو يحيى وينشر الجريدة التي كانت مطوية تحت إبطه، وقال وهو يقدمها له: «هل قرأت هذا يا بك؟ إن الحملة واضحة التلفيق، ولهذا جئت وفي مرجوى أن أظفر منك ببيان للرد عليها». فتناولها منه المدير وألقاها على طرف المكتب، ولم يكتم ضجره وهو يقول: «تفضل.. تفضل.. إن كل ما يعنى رواد الدار هو أن يجدوا ما يطلبون — كل ما يطلبون — فيها وأن يهتدوا إليه بسرعة وسهولة وبغير عناء أو تضییع وقت. ومتى كان هذا حاصلًا فلست أبالي ما تكتب الصحف أو يقول غيرها. وهذا حسبي وحسبك بيانًا، فإذا اقتنعت به فذاك.. وإلا فأمرى إلى الله، فما أستطيع أن أضيع وقتي في الكلام الفارغ».

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب ضخم وضع بين صفحتين منه قلما أحمر غليظًا. وكان ينظر إلى إحدى الصفحتين ويشير بأصبعه إلى سطور فيها كأنما يتلو منها ما ينطق به. بل لقد خيل إلى سعيد أن الأمر كذلك، ولكنه هز رأسه كأنما يريد أن يطرد هذا الخاطر، فقد استأذن من غير أن يبين الغرض من المقابلة. وكان سعيد من أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية، ومن أنشطهم وأشدهم إقبالًا على التحصيل والاطلاع ونزوعًا إلى الاستقلال والعمل الحر. وخال فيه صاحب جريدة «الأحوال» الخير من لمحاته، وأنس الرشد من أعماله.. فألحقه بمساعديه الكثيرين، وما لبث أن صار يعتمد عليه في تعقب الأخبار وتقصي الحقائق.

ورأى المدير أن سعيدًا ينظر إلى الكتاب الذي بين يديه، فمسح جبينه العريض بأنامله ثم قال: «على فكرة.. هل عندكم في «الأحوال» ملفات خاصة بترجمة المشهورين؟ ثم كأنما تذكر أمرًا، فقال: «متى أسست جريدة الأحوال؟»